احتمالات نجاح الحوار

ناهض منير الريس

لو أن غالبية الفلسطينيين سئلوا عن أعز أمنية يتمنونها اليوم لكان جوابهم : نجاح الحوار بين الأشقاء . ولكن لو سئلوا هل هم متفائلون بتحقيق هذا النجاح لما زادت نسبة المتفائلين على عشرين في المائة ! وربما أقل ! لأن الفلسطينيين وهم ضحايا النكبة الذين مارسوا الاستماع إلى نشرات الأخبار منذ ستين سنة ، يعرفون الكتاب من عنوانه .

فعندما يراقب الناس الحملات الإعلامية الفضائية المستمرة منذ أكثر من سنة بين القناة عندنا والقناة عندهم ويسمع الناس تصريحات أخينا عزام الأحمد التي تقول إن اللقاء المباشر بين حماس وفتح مستحيل وذلك في وقت لم تتوقف فيه الاجتماعات المباشرة بين الطرف الفلسطيني وبين الاحتلال الإسرائيلي ، ثم يقرأ الناس الحملات التي تشنها إحدى وكالات أنباء دحلان ضد الرجوب لأنه يدعو إلى مصالحة حماس وفتح .. .. وعندما يصرح الرئيس الفلسطيني إنه مستعد للمفاوضات مع أية حكومة ينتخبها الإسرائيليون ومع أية حكومة ينتخبها الأمريكيون ، ولا يستثني إلا الحكومة التي انتخبها الفلسطينيون .. وعندما يصبح الراتب والمعاش ورزق العيال في مهب ريح العصبية الحزبية ويؤخذ الناس بشبهة انتمائهم إلى فصيل فلسطيني بينما يقف فلسطيني يشغل وظيفة قائد قوات الأمن الوطني في الضفة المحتلة يفاخر بالتنسيق مع العدو الإسرائيلي الذي يقتل الناس ويبني مزيدا من المستوطنات وينظم مزيدا من الهجمات على المسجد الأقصى .. وعندما تجري تجزئة أجندة الحوار بين الإخوة إلى بضع نقاط ذات تفاصيل وشراشيب بدلا من أن تكون المصالحة بندا واحدا بسيطا هو

رص الصفوف بوحدة الجهود والقلوب والعقول والسلاح في وجه الاحتلال ..

فما الذي يفهمه الشعب العربي الفلسطيني من ذلك كله غير استفحال الوقيعة والبغضاء والتباعد ؟

وفي جلسة ضمت عددا من المفكرين الفلسطينيين تساءل أحدهم : ومع هذا الذي يبعث على التشاؤم ويوحي بالفشل : أليس ثمة شيء في الجو يحمل ولو على قليل من التفاؤل بقرب نهاية هذه الدراما الفلسطينية ؟

قال أحدهم : ليس لها من دون الله كاشفة .

وقال آخر مازحا : الشيء الوحيد الجديد على الساحة هو الأزمة المالية الأمريكية . فتعالوا نناقش تأثيرها المتوقع على الحوار الفلسطيني .

وقال ثالث : كلام جد .. أتعرفون ما الباعث على بعض التفاؤل على المدى الأبعد قليلا من القريب ؟

فالتفت إليه الجميع بأنظارهم ، واستطرد :

. من الواضح أن السياسة في العالم اليوم تلعب في وقت ضائع .. والكل في انتظار نتيجة الانتخابات الأمريكية . وإذا صح تفاؤل المتفائل فإن الجمهوريين غابت شمسهم اليوم . والمرشح الديمقراطي هو الأقرب إلى الفوز بعدما تعززت حظوظه بسبب مسؤولية الجمهوريين عن جريمة الزلزال المالي الذي هو بعد كل حساب صناعة الجمهوريين وحكمهم التعس ثماني سنوات متتالية .

. فأية علاقة لهذا كله بالحوار الفلسطيني ؟

. لا شك أن مجيء إدارة أمريكية جديدة سوف يحدث تغييرا في سياسات الولايات المتحدة مفاده الإطاحة بوهم المحافظين الجدد في إقامة عصر امبراطوري يمتد إلى المدى الذي تصل إليه الشركات العملاقة وتدب في

أرجائه الدبابات والطائرات حاملة الصواريخ الأمريكية . فأمريكا مضطرة الآن لأن تلتفت إلى الداخل لمعالجة آثار الزلزال الاقتصادي . ودول المنطقة سوف تحس بأن القبضة الأمريكية تراخت بقدر ملحوظ . والعالم سوف يتشكل من جديد عالما متعدد الأقطاب . وهذا سيتيح فرصا أمام القادة السياسيين المحليين في المنطقة لإدخال قدر أكبر من الاعتبارات الوطنية ومراعاة المصالح القومية في سياساتهم . وسيكون هذا في صالح الوطنيين والمناضلين وصالح القضية الفلسطينية التي لم تتضرر في عصر من العصور كما تضررت إبان العقد الأخير على يد الإدارة الأمريكية المتصهينة ورموزها المجرمين .

. فكيف سيتأثر الحوار الفلسطيني . الفلسطيني ؟

. ربما يصبح الطرف الذي تأخذه العزة بالمساعدات المالية الغربية حتى الآن ، والذي يتشدد المتشددون فيه ويرهنون موقفهم السياسي تبعا لخوفهم وطمعهم في أقساط هذه المساعدات ، أقرب من ذي قبل إلى الإحساس بالحاجة لإخوانه الذين مدوا أيديهم إليهم . وربما ينتبه أصحاب القرار السياسي العرب إلى أن الفيتو الأمريكي ضد الحوار قد انتهى عهده فتصبح جهودهم أصدق وأسخن في شأن الحوار .

. ولكن ماذا عن الإسرائيليين ؟ هل سيسمح اللوبي الخاص بهم في الولايات المتحدة بحدوث هذه التغيرات في السياسات الأمريكية ؟ أليس من الاحتمالات الأخرى أن يركبوا ظهر أوباما وإدارته وأن يعملوا على إعادة تنظيم صفوف صانعي وتجار الأسلحة ويوسعوا نطاق الحروب الأمريكية بغية ضخ دماء جديدة في جسم الاقتصاد وإيجاد فرص عمل جديدة ؟

. كلا . ما دامت النعوش الطائرة القادمة من العراق وأفغانستان مستمرة في الهبوط في المطارات الأمريكية . فمهما يكن تأثير أجهزة الإعلام

الصهيونية والمتصهينة على الجمهور الأمريكي لمحاولة إعداد الجمهور لذلك فإن تأثير الأمهات الأمريكيات الثاكلات أقوى ، حتى وإن كان صوتهن أخفت . وإن لعناتهن في وجه الإدارة الحاكمة ستحول دون أية إدارة جديدة وفتح حرب جديدة في المدى المنظور .

. ألم تعد أمام اللوبي الصهيوني في أمريكا أية حيلة أو وسيلة للحيلولة دون السيناريو غير الملائم لهم ؟

. لم يبق أمامهم غير اغتيال أوباما كما اغتالوا كينيدي من قبل .

. وهل هذا احتمال قوي ؟

. ليس قويا ولكنه هو الذي تبقى لهم !!